الفصل الثالث عشر

أبعاد الانترنت في المجتمع

إذا كانت انترنت تثير ضجة اعلامية كبيرة فالانها تمثل الطرق المستقبلية السريعة للمعلومات وتجسد عدداً من الشياطين المرتبطين بأتمتة المجتمع. يهدف هذا الفصل إلى استعراض الأبعاد السياسية والثقافية والاجتماعية والقانونية العديدة لانترنت.

الأبعاد السياسية:

تنطوي انترنت على أبعاد سياسية معينه تضاهي أبعادها الاقتصادية.

١. **تحقيق أطار أساسي مناسب:**

ترتبط السلطة السياسية بانترنت لانها كانت تمولها لفترة طويلة. وإذا كان لعصر الصناعة مشاريعه الضخمة (مثل السكك الحديدية والطرق السريعة للسيارات،الخ)، فإن انترنت والطرق السريعة للمعلومات تشكل جزءاً من برنامج المشاريع الضخمة لعصر مابعد الصناعة. ترتبط التنافسات الدولية لشركات بتطوير البني الأساسية للاتصالات عالية الأداء. وقد أصبحت المنافسة شاملة أكثر من أي وقت مضى، بيد أن الشركات الأوربية ما تزال متخوفة الآن بخصوص انترنت مما يترك المجال مفتوحاً أمام الشركات الامريكية التي تسعى جاهده لتدعيم زعامتها في انترت.

ينبغي على السلطة السياسية تحديد الأطار المناسب لتطوير الطرق السريعة للمعلومات، وخاصة انترنت. وكما أوصى الرئيس الأمريكي الغور، من الممكن ترك موضوع التمويل إلى القطاع الخاص. علماً أن القرارات التي تتخذ في هذا المجال ستضمن التنافسية الدولية في مجال اقتصادياتنا (اقتصاد الدول المعنية).

٢. **لشبكات والمواطنية:**

يرى العديدون أن الطرق السريعة للمعلومات هي وسيلة تقرب المواطن من المنتخبين أو من المؤسسات. ويتطرق البعض، على سبيل المثال، إلى إعادة تعريف الديموقراطية ضمن الانتخاب الالكتروني. ويبدو ان هذه الاقتراحات ماتزال سابقة لأوانها اليوم بسبب القصور الذاتي للمؤسسات، إلا انها قد تتحقق خلال العقود القادمة.

يمكن للشركات تقدم العديد من الخدمات بصورة أفضل باستخدام الطرق السريعة للمعلومات. ويمكن لمؤسسات مثل الضمان الاجتماعي أو الـ ANPE والتي تمتلك الان ملقم مينيتل، أن يكون لديها ملقم على انترنت هدفه تحسين المعلومات الخاصة بالمستعملين من جهة، وتبسيط وتسريع الاجراءات الادارية من جهة أخرى.

٣. الشبكات والعمل:

إن تقدير مدى التأثير الفعلي للشبكات المعلوماتية على العمل أمر معقد. فمن المؤكد أن الخدمات الأتية تخلق وظائف عمل، تماماً كما كان الحال مع تطوير المينيتل. والمشكلة هي أن بعض النشاطات التي كان العمال يؤدونها قد جرت أتمتتها اعتماداً على هذه التقنيات. فمن المحتمل مثلاً، لدى شركات البيع عن بعد، أن تؤثر الطلبيات التي تجري عن طريق المينيتل على أعداد بعض الفئات العاملة (عاملو التشغيل، القائمين على فرز الطلبات، الخ).

ويؤدي إلغاء الوساطة إلى تنقلات في العمل تماماً كما تسهل عولمة الأسواق تنقل المستخدمين وتزيد من التنافس الدولي بتيسير اللامركزية الثقافية. وعلى صعيد السوق الأوربية الموحدة، يصل عرض العمل المقدم عبر شبكة *Usenet إلى عدد كبير من جمهور الشبكة، مما يسمح لرب العمل بالحصول على مردود أمثل في توظيف العمال. تهئ الأبحاث، على المدى البعيد جداً، أسواق الكترونية حقيقة للمنافسة. وبالتالي يجب على السياسي تقوية إغراء النظام الاقتصادي لاجتذاب المواهب الأجنبية وتحسين نوعية النظام التربوي بغية زيادة تنافسية طلابنا.

وتسهل انترنت العمل عن بعد لانها تسمح للعاملين عن بعد بالبقاء على اتصال مع نظام معلومات الشركة.

٤. الأسواق والتنافس الدولي:

هل يمكن لانترنت حل مشاكل الدول النامية؟ أن الولوج إلى الشبكة بسيط نسبياً من الناحية التقنية وهو يسمح بالحصول على كمية كبيرة من المعلومات. ويساهم تزويد الجامعات بولوج إلى انترنت في الدول النامية في الحصول على المعلومات بصورة أفضل كما يحسن من نوعية التعليم.

لايمكن لأحد اليوم التنبؤ فيما إذا كانت انترنت (أو الطرق السريعة للمعلومات) ستساعد في سد الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة، أم أنها على العكس من ذلك ستزيد من حجمها. أن انترنت فرصة منحت للدول الصناعية الحديثة (NPI) التي تتمتع بمستوى تقني كافي (بنية هاتفية أساسية وحواسيب).

الأبعاد الثقافية

على غرار الأبعاد الاقتصادية، يرتبط السياسي بالأبعاد الثقافية أيضاً. فاللغة هي إحدى العناصر الثقافية، بيد أن هيمنة اللغة هي إحدى العناصر الثقافية، بيد ان هيمنة اللغة الانكليزية في هذا المجال عبر انترنت هائلة. فلا بد إذا من تقوية وجود اللغة الفرنسية (ولغات أخرى) بانشاء مواقع ثنائية اللغة (أو متعددة اللغات). ولكن إدارة ثنائية اللغة في المواقع الفرنسية اللغة، تؤدي إلى نفقات إضافية لهذه المواقع مقارنة مع المواقع الأمريكية أو الانكليزية التي تتمتع مباشرة بجمهور واسع جداً.

تتعلق الثقافة أيضاً، بالإضافة إلى اللغة، بتنشيط التراث الفني. إذ تلعب المعارض الافتراضية التي نظمتها وزارة الثقافة أو الفطاع الخاص (مثل Web Museum للسيد N.Pioch أو "باريس" للسيد "بارث" N.Barth) دوراً هاماً في نشر المعلومات الثقافية والسياحية.

إن نشر انترنت في المدارس، والذي تقلص بشكل كبير في الولايات المتحدة، هو عامل هام في تربية الشباب. فالوسائط الفائقة هي أداة تربوية قوية. ومن الأساسي جداً أن يتقن الطالب في مراحل الدراسة الثانوية والعليا استخدام أدوات الولوج إلى المعلومات والمعرفة بمهارة.

إن انترنت هي بحد ذاتها عالم كامل له ثقافته الخاصة وهي الثقافة السبرانية. والتي يعبر عنها، على سبيل المثال، المصطلحات الخاصة التي يستعملها رواد الشبكة.

الابعاد الاجتماعية

ليست انترنت مجرد شبكة اتصالات، بل أنها ظاهرة حقيقية في المجتمع. إذ أنها تعدل كثيرا بعض العناصر الرئيسية في النسيج الاجتماعي.

فيما يخص نواقصها، فإن انترنت تخرّب الروابط الاجتماعية لأنها تغير من طبيعة العلاقات الأنسانية بتشجيعها لشكل من الاتصالات يجري دون احتكاك فعلي. هذا الموضوع ليس جديدا بحد ذاته، إذ أوجد المينيتل ورسائله هذا النوع من المحادثة باستخدام لوحة مفاتيح وشاشة متصلتين. لا أحد يستطيع ان يجزم فيما إذا كانت هذه الاشكال من الاتصالات تقرب الناس ام تدفعهم الى العزلة.

تتفاقم المشكلة في المقاهي السبرانية التي تجمع بين الاتصالات المباشرة بين الافراد (حول مقهى حقيقي) وبين الاتصالات السبرانية التي تتم بين اشخاص يتواجدون في مكان ما من العالم.

يجب أن لا تحل الاتصالات عبر انترنت مكان الاتصالات التقليدية، إنما علينا النظر اليها كوسية اضافية للاتصالات، مثلما كان البريد أو الهاتف في عصرهما.

تخلق أدوات الاتصالات، مثل تجمعات افتراضية فعلية مجهزة بقواعد تشغيلها الخاصة. تدار هذه التجمعات ذاتيا وتتولى التعريف على قانون الجماعة وفرض احترامه (مثال: مجموعة القواعد السلوكية لأحدى المجموعات الاخبارية).

أسباب النجاح في فرنسا

اكتسبت فرنسا خبرة لا تضاهي من خلال شبكتها، في مجال التلقيم عن بعد لجمهور واسع. وقد طورت الشركات التي تقدم خدمات عبر مينيتل مهارات لا يمكن انكارها مستمدة من استثمار على مدى ١٥ عام ومن اتصالات دامت ملايين الساعات. كما اثبتت شركة تيليكيوم ايضا قدرتها على تحديد قواعد مقبولة للتشغيل (وخاصة بالنسبة للخدمات المتنازع حولها " المينيتل روز/الوردي"). كذلك سمح مينيتل ان يكون التخديم عن بعد امرا مالوفا للناس.

أسئلة عديدة تطرح نفسها بخصوص المؤسسات المزودة لخدمات مينيتل :

- يمكن لهذه المؤسسات أن تبدل خبراتها في الخدمة الانية بالنمط النصي إلى الخدمة الأتية بالنمط البياني (تعددية الوسائط)؟
- كيف سيكون الانتقال من أنظمة الابحار الخطي (أو الهرمي) مثل الفيديوتكس إلى أنظمة النصوص الفائقة مثل الوب؟
- هل سيكون بإمكانهم الانتقال من نظام ضمن نطاق فرنسا إلى نظام دولي ذو تنافسية عالية؟
- هل سيكون سلوك الزبون الفرنسي من الجمهور العريض بالنسبة للمينيتل وخدماته مماثلا لسلوك الزبون العالمي؟

ولكن الاهم من هذه الاسئلة هو معرفة فيما إذا كانت الشركات ستغتنم الفرصة المقدمة لها لتوزع كفاءاتها على المستوى العالمي.

أيا كانت الأجابات على هذه الاسئلة المفتوحة فانه لمن المؤكد ان على الشركات التي تعمل ضمن اطار تنافسي ضعيف (ومحدود جغرافيا وفنيا في كل الاحوال) التحرك إذا ما كانت تريد، اعتبارا من الآن تكوين خبراتها التي ستسمح لها بالصمود امام التنافس العالمي في سوق الطرق السريعة للمعلومات.

تمثيل المعلومات رقميا

تعاظمت اهمية تمثيل المعلومات رقميا مع انترنت والاتمتة إلى حد لم يسبق له مثيل. بيد أن هذا التمثيل يواجه عدة مشاكل.

وصحة المعلومات هي واحدة من هذه المشاكل. إذ يمكن نسخ كل المعلومات الممثلة بشكل رقم (صورة أو صوت أو نص ... إلخ) دون أي خطأ أو تدني في النوعية. وبالتالي لا يمكننا التمييز بين الصورة والاصل، مما يطرح مشاكل تتعلق بحماية حقوق المؤلف. زد على ذلك انه من الممكن تعديل الوثيقة الممثلة رقميا بحيث لا يمكن كشف التحريف بسهولة، وعليه فان وثوقية المعلومات قبلة للشك. ولا تنجو المعلومات المنقولة عبر انترنت من هذه المشكلة، ولكن تقنيات التشفير والتوقيع الالكتروني تضع حلولا لهذه المشاكل.

إن الدعايات وتحريف الأخبار أمر شائع جدا عبر شبكة نيوز أو وب. فوفرة المعلومات والسهولة التي يمكن بها لأي شخص وضع معلومات في متناول الجميع يؤدي الى بعض الاساءات بدءا من تروي الأخبار الناقصة والخاطئة أو المعاد صياغتها بصورة غير قانونية (بدون احترام حق المؤلف)، إلى الدعايات أو التحريف المقصود للاخبار. تسعى جمعيات للآباء في الولايات المتحدة لفرض رقابة شديدة على انترنت، ولكن هذه الجمعيات تصطدم بليبرالية رواد انترنت. قد تظهر مع ذلك ضوابط نابعة من ذاتها، فمثلا يتم اليوم حماية بعض مواقع للبالغين بواسطة طلب رقم الحساب الذي يثبت أن المستخدم هو شخص بالغ لأنه يحمل بطاقة ائتمان مصرفية.

من الضروري دائما البقاء في حالة يقظة والأحتفاظ بفكر نقدي كاف لغربلة الخطأ من الصواب. وباعتبار أنه من السه خداع الرواد الجدد، فان عليهم مضاعفة حذرهم، لا بل البقاء بمعزل عن بعض المعلومات.

نتوقع مع ذلك حصول اصطفاء طبيعي ما بين مزودي المعلومات على شبكة وب، وستبقى فقط المصادر الفعالة.

هناك مشاكل لم تحل حتى يومنا هذا، وخصوصا مسألة الدفع مقابل استعراض الوثائق التي يجب تطبيقها، ولكن هذه المسألة تنطوي على صعوبات عديدة (مثل نوعية المعلومات، تحديد النسخ، الخ).

تشويش قانوني

تطرح انترنت والمعلومات التي تنقلها العديد من المشاكل أمام رجال القانون.

١. **تشكيل أطار قانوني مناسب:** أن عولمة الشبكة وانتشارها الاقليمي تحول دون امكانية تطبيق قوانين وطنية. فمثلا تنقل شبكات النيوز أو الوب صورا خلاعية ممنوعة عادة بالتشريع الخاص للعديد من الدول.

كذلك لا تسهل التقنيات المعقدة عمليات المراقبة. فيمكن استبدال ملقم مراقب خلال دقائق بآخر موصول بالشبكة في مكان آخر من العالم، وخاصة في البلدان التي تمتاز بنظام متساهل جدا.

وأكبر شاهد على ذلك المقاهي الافتراضية التي تجري إدارتها من جزر غربيه شبه خالية من التشريعات القانونية. بل على العكس، تتمتع هذه المقاهي بسوق عالمية تصل حتى إلى المناطق التي تمنعها "نظريا" أو التي تخضع فيها هذه المقاهي لقواعد خاصة (تصريحات، ضرائب، أسعار أعادة التوزيع، الخ).

إن حداثة وسرعة تطور التقنيات والأدوات والخدمات تعقد كثيرا مهمة المشرع، ولكن من الضروري جدا أن تحدد الدول قوانين وحدود الفضاء السبراني لتفادي الانزلاقات وسوء الأستعمال. ويتوقع ان يحمل مشروع مجموعة العمل لسن قوانين انترنت حلولا لهذه المسائل القانونية.

٢. **من التجسس السبراني إلى الرقابة السبرانية:** يعتمد مؤيدو المراقبة الكاملة للشبكة، بشكل منهجي على حجة الكفاح ضد الارهاب والجريمة المنظمة. من المحتمل أن يستعمل الاشرار انترنت والشبكات الالكترونية الاخرى لتبادل المعلومات، كما يستعملون الهاتف أو الفاكس.

أخفقت العديد من المحاولات التي تهدف إلى ضبط ومراقبة محتويات الرسائل والوثائق المتبادلة عبر الانترنت. وتقع دائما ضحية الرقابة بسبب احتوائها على العديد من مجموعات الأخبار ذات الصبغة الجنسية أو الخلاعية. تواجه كل عملية رقابة احتجاج عام شديد، حيث تتمسك جماعة بضرأوة بحريتها (المطلقة) في التعبير. ومع ذلك، تمكنت الرقابة من فرض نفسها، وخاصة في سنغافورة حيث تسيطر الحكومة على انترنت (وعلى وسائل الاعلام الأخرى، على كل حال).

٣. **الأسم المغفل والحماية:** نادرا ما يكون كتم الأسم فعالا على انترنت. ولكن يوجد انظمة تسمح بإرسال واستقبال رسائل الكترونية مجهولة الاسم. كما تسمح، في بعض الاحيان، باستعمال انظمة الاخبار دون ذكر الاسم (وهذا مهم بالنسبة لمجموعات المحادثات التي تدور حول مواضيع مثل الانتحار والاجهاض والمخدرات والسرقة...الخ).

أنشئت مواقع تسمح بارسال رسائل مجهولة الاسم، ولكنها سرعان ما توقفت بسبب الضغط أو سوء الاستعمال من قبل المستخدمين.

تحارب مؤسسة الحدود الالكترونية(EFF) محاولات الرقابة وتقييد حريات التعبير والمعلومات. وهي تقود العمليات المعادية لمشاريع سن القوانين الامريكية الهادفة الى تفتيش ومراقبة انترنت. ويعرض مواقعها على الوب العديد من المعلومات حول المناقشات الجارية والعمليات السابقة (كمسألة كليبر) والحالية والمستقبلية (مثل القضية الممكنة ضد "فيل زيمرمان" ، كاتب برنامج التشفير).*PGP .

الخلاصة

لا يوجد بين انترنت والطرق السريعة للمعلومات سوى بضع خطوات، وعلى الاغلب لن تكون الخطوات المتعلقة بالتكنولوجيا هي أصعبها انما تلك المرتبطة بالنواحي الاجتماعي والسياسي والقانوني.